

## العنصر : وظائف اللغة

السؤال : هل اللغة مجرد أداة للتواصل الاجتماعي ؟

**المقدمة :** من الخصائص التي يتميز بها الإنسان في ماهيته هو أنه كان إجتماعي بطبيعة محكوم عليه بالعيش في إطار الجماعة والانحراف في صفوتها من أجل تحقيق الإنسانية وهذا لا يتحقق إلا بالتفاعل المستمر بينه وبين غيره من أفراد المجتمع ويعتمد في تفاعله على اللغة من هنا اعتقاد البعض أن اللغة هي جملة من الإشارات والرموز المترابطة بينها وبين أفراد المجتمع من أجل التواصل غير أن هناك من ينافق ذلك بحكم أن اللغة في تصورهم لها وظائف عدّة تتجاوز الدور التواصلي والاجتماعي وفي ظل هذا الجدل القائم يثار التساؤل التالي : هل تتحصر **وظيفة اللغة في تحقيق التواصل بين الفرد والمجتمع أم أنها تؤدي وظائف أخرى ؟**

**العرض :** ( محاولة حل المشكلة ) :

**1 - عرض الأطروحة :** يرى بعض علماء الاجتماع و في مقدمتهم **فيخته ، لافيل ، دولا كروا ، و دوركايم** بأن اللغة في ماهيتها هي أداة للتواصل الاجتماعي أي أنها وظيفة اجتماعية يستخدمها الفرد ليتبادل الأفكار والحقائق والمعارف والتجارب بينه وبين أفراد المجتمع لذلك فاللغة في نظرهم **وظيفة تكيفية** يتحقق بها الفرد **إنتماجه**

و يستند أنصار هذا الاتجاه في تبرير موقفهم على الحجج التالية :

**الحججة الأولى :** إن استقراء الواقع يكشف أن اللغة أساس قيام العلاقات الاجتماعية وتطورها وتجددتها فهي التي تصل الفرد بغيره و تمنح له الوجود الاجتماعي وتحقق له الإنسانية من خلال تواصله مع أفراد المجتمع و بواسطتها يتم تبادل المعارف والحقائق والأفكار داخل الحياة الاجتماعية فهي بذلك شرط تحقق الوجود البشري لأن الفرد بمعزل عن إطار الحياة الاجتماعية و خارج مكتسباتها لا يحقق **بعدة الإنساني**

**الحجـة الثانية :** هذا و يرى الألماني فيخته أن اللغة هي الرابطة الوحيدة بين عالم الأفكار و عالم الأجسام و الدليل على ذلك أن فقدان فرد من جماعة القدرة على التعبير يقطع العلاقة بينه وبين غيره أكثر أي أنه يعرقل الانسجام الاجتماعي له يقول فيخته في هذا الصدد : (( إن اللغة تلزم الفرد في حياته و تمتد إلى أعماقه و تبلغ أخفى رغباته إنها الرابطة الوحيدة الحقيقة بين عالم الأجسام و عالم الأذهان إنها تجعل الأمة كلا مترافقا )) فالصم و البكم بحكم إفتقارهم للغة يجدون صعوبة في التواصل و التكيف مع غيرهم لذلك فاللغة هي التي تدمج الفرد في المجتمع من خلال التواصل والتفاعل الدائم بينه و بين أفراد المجتمع يقول جورج غوسدروف : (( إن اللغة هي الشرط الضروري و الكافي للدخول في الحظيرة الإنسانية )) فبان كان الإنسان لا يحقق الإنسانية إلا في المجتمع و كان المجتمع لا يدوم إلا بالتواصل بين أفراده و كان التواصل يقوم على وجود اللغة فإن اللغة هي التي تحقق الوجود الإنساني

**الحجـة الثالثة :** ثم إن اللغة هي جسر يربط بين الأجيال فهي التي تصل ماضي الأمة بحاضرها و حاضرها بمستقبلها إنها تحفظ التراث و تنقله من جيل إلى جيل يقول لافيل : (( اللغة ذاكرة الإنسانية فهي تحفظ سائر مكتسباتها و أغنى من فكر أي فرد إلى أبعد حد ))

**الحجـة الرابعة :** و هي عامل أساسي في تقوية الشعور بالإنتماء إنها رابطة تقوى صلة الترابط و التلاحم و الإتحاد بين أفراد المجتمع و هي عامل جوهري في تحقيق وحدة المجتمع و تماสک أفراده فوحدة اللغة تحقق وحدة إنتماء و تأسس وحدة هوية فاللغة العربية كانت العامل الحاسم في قيام الأمة العربية و تواصل أجيالها

**الحجـة الخامسة :** كما أن اللغة أداة لتحقيق التكيف بين الفرد ووسطه الاجتماعي أي تسمح له بالانسجام مع باقي أفراد مجتمعه يقول إميل دوركايم : (( إن اللغة هي ظاهرة اجتماعية تتميز باللزم و اكراه ))

**الحجـة السادسة :** و هي وسيلة للتعبير عن الحاجات الاجتماعية الأمر الذي جعل الجرجاني يقول : (( إن اللغة هي ما يعبر به كل قوم عن أغراضهم ))

**النقد :** حقيقة أن اللغة وظيفة اجتماعية تواصلية لا يمكن إنكارها لأنها هي التي توصل الآنا بالغير ، لكن ذلك لا يبرر أن مهمة اللغة تخزل في الدور التواصلي الاجتماعي فقط وإن الإقرار بذلك هو تنكر لوظائف يقوم عليها النظام اللغوي فهو كانت اللغة مجرد أداة للتواصل فقط لا تعتبر أشكال التواصل لدى الحيوان لغة ومثال ذلك ملاحظة كارل فون فريش عن النحل إذ لاحظ أن للنحل نظام تواصلي تستطيع به نحلة معينة أن تتوصل من خلال قيامها بحركات في شكل رقصات تخبر من خلالها غيرها بوجود طعام في مكان ما من الخلية ، غير أن الواقع يكشف أن هناك فرق كيفي و كمي بين لغة الإنسان و لغة الحيوان

**2 - عرض نقض الأطروحة :** على خلاف الموقف الأول يرى كثير من الفلاسفة والمفكرين بأن اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل ، أي لا تتحصر مهمتها في التواصل بين الفرد والمجتمع ففي نظرهم للغة وظائف أخرى تتناسب مع طبيعة الوجود الإنساني

و يستند أنصار هذا الاتجاه في تبرير موقفهم على الحجج التالية :

إن الذي يبرر ذلك أن اللغة **وظيفة فكرية** بحيث أنها تشكل أداة ضرورية لمزاولة النشاط الذهني فهي نسيج يتحكم في الوظائف العقلية من تذكر و تخيل و ذكاء و إدراك ف بواسطتها يقوم المرء بمختلف العمليات العقلية كالتحليل و التركيب و

المقارنة والإستنتاج فاللغة بهذا المعنى هي الوعاء الذي يصب فيه الفكر يقول هيجل في هذا الصدد : ((**اللغة و عاء الفكر** )) فالتفكير بدون لغة يبقى حوارا صامتا أي

مونولوج داخلي بين الذات و نفسها لهذا يقول موريس ميرلوبونتي : ((**إن الفكر لا يوجد خارج الكلمات** )) فاللغة هي التي تبرز الفكر و توضحه و تكشف معانيه و تطوره فهي التي تتحققه و تخرجه من حيز الكتمان إلى حيز التصريح فلولا اللغة ليقي الفكر حبيس صاحبه لا يمكن كشفه و التعرف على حقيقته يقول هيجل في هذا الصدد : ((**إن اللغة هي التي تعطي الفكر وجوده الأسمى** ))

كما أن اللغة **وظيفة نفسية** إذ أن اللغة تعبّر عن أحوال النفس و لولها لما استطاع الإنسان وصف مشاعره و عواطفه و قد أكدت أبحاث علم النفس التحليلي أن التعبير عن المشاعر و إطلاق العنوان للذكريات يولد الراحة النفسية و هو سبيل للقضاء على كثير من الأمراض النفسية كما أكده فرويد أن اللغة تعد سبيلا للتنفيس عن الرغبات المكبوتة

و للغة أيضا **وظيفة تخيلية** تمكن الإنسان من تخيل الأشياء و تصورها و هي غانية لأن كل كلمة فيها تحمل معنى تشير إلى شيء إذ بمجرد سمعها يتصور الشيء الذي نرمز إليه و هو غائب فاللغة بذلك أداة الإنابة عن الأشياء بواسطتها يستطيع البشر التفكير في الأشياء في حالة غيابها إنها العامل الأساسي في تشكيل العالم الرمزي المحدد في مقابل للعالم المادي و معنى ذلك التحرر من الواقع و نسيان الهموم عن طريق أحلام اليقظة و القصص و الأشعار ... إلخ

كما أن لها **وظيفة شخصية** تعكس مواهب و قدرات و استعدادات الذات إنها وسيلة تكشف عن اهتمامات و تطلعات و كل ما تحمله الشخصية الإنسانية ظهور القدرات لدى بعض أهل العلم كان من وراء اللغة فلولاها لبقيت مواهب هؤلاء كامنة و للغة أيضا **وظيفة إستكشافية** في بواسطتها يتعرف المرء على محیطه الطبيعي و الاجتماعي و يدرك الأشياء المحیطة به بحيث يتعرف على أسماء هذه الأشياء و مكوناتها و وظائفها و كيفية استخدامها و الظواهر الطبيعية و أسباب حدوثها و القوانين المتحكمة فيها

كما أن لها **وظيفة رمزية** ساهمت في تطور العلوم ب مختلف فروعها ، حيث أصبح العلماء يعبرون عن مختلف القوانين التي تحكم الظواهر في شكل صيغ رمزية في منتهى الدقة و الإختصار و الصراامة ف كانت اللغة الرمزية و بحق سر النجاح المنقطع النظير الذي حققه العلوم التجريبية كالرموز الرياضية و المنطقية و هذا ما بين صدق مقوله العالم الإيطالي غاليليو غاليلي حينما قال : (( إن الكون مكتوب بأحرف رياضية ))

و للغة أيضا **وظيفة نفسية** تسمح للإنسان بإشباع حاجاته المادية أو النفسية كطلب العلم أو الترفيه عن النفس و علاوة على ذلك فإن اللغة **وظيفة تفاعلية** تستخدم للتفاعل مع الآخرين في المحیط الاجتماعي و من ثم يتم تبادل الآراء و الأفكار و المشاعر و للغة أيضا **وظيفة تنظيمية** بحيث أن اللغة تنظم سلوك و إستجابات الآخرين من خلال الأوامر و النواهي

كما أن لها **وظيفة إخبارية** فاللغة تنقل المعلومات إلى الآخرين سواء كانت أحداثا سياسية ، اقتصادية ، اجتماعية ، علمية أو ثقافية ... إلخ و هذا ما تضطلع به اليوم وسائل الإعلام حيث تتناقل يومياً ما يجري في العالم الأمر الذي يمنحك القدرة على التأثير في الجمهور و توجيه الرأي العام

**النقد :** صحيح أن للغة وظائف عدّة مختلفة يستخدمها الإنسان لتحقيق أغراضه التي تتناسب مع وجوده لكن رغم هذا التعدد في وظائف اللغة إلا أن ذلك لا يلغى الدور التواصلي الاجتماعي إذ تبقى اللغة الرابطة الأساسية التي تشكل النسيج الاجتماعي و بدونها ينعدم التفاهم و التواصل لذلك يقول هنري دولا كروا في كتابه

**اللغة والفكر :** (( اللغة مؤسسة أو عمل اجتماعي أو هي مجموعة من الإصطلاحات تبنيها هيئات اجتماعية ما لتنظم بواسطتها عملية التخاطب بين أفرادها ))

**التركيب :** الحقيقة أن اللغة ظاهرة إنسانية يتخذها الإنسان من أجل التواصل و التفاهم مع غيره محققا أغراضه المختلفة التي تتناسب مع حقيقة وجوده ، فاللغة وظيفة اجتماعية و وظيفة فكرية و تخيلية و شخصية و نفسية و إستكشافية و نفعية و تنظيمية و تفاعلية و رمزية و إخبارية ..... الخ ، لأن الإنسان كان متعدد في الأبعاد فهو ينطوي على أبعاد بيولوجية و عقلية و اجتماعية و أخلاقية و ميتافيزيقية لذلك فهو يلجأ إلى اللغة لتحقيق كل هذه الأبعاد بغية تحقيق ماهيته

**الخاتمة ( حل المشكلة ) :** بناءاً على ما سبق نستنتج أنه رغم الدور الاجتماعي التواصلي الذي تؤديه اللغة إلا أن وظيفتها لا تتحصر في نطاق التواصل بين الفرد والمجتمع بل إن لها وظائف أخرى تنسجم مع خصوصيات الطبيعة البشرية لذلك يقول ماكس مولر : (( ما كان الإنسان أن يقدسها حباً لها و تعشقها لأنغامها و أجراسها و إنما في الإنسانية )) ومنه فووظائف اللغة متعددة و فضائلها متعددة لا تعد و لا تحصى

# dirassatidz.com



@dirassati1